

Distr.: General
4 April 2014
Arabic
Original: French



رسالة مؤرخة ٢ نيسان/أبريل ٢٠١٤ موجهة إلى رئيسة مجلس الأمن من الممثل الدائم لفرنسا لدى الأمم المتحدة

يشرفني أن أحيل إليكم تقريراً عن ضروب التعذيب وحالات الإعدام بإجراءات موجزة التي مورست ضد أشخاص من الذين كان يحتجزهم النظام السوري (انظر المرفق). وقد أعدت هذا التقرير، الذي صدر في كانون الثاني/يناير المنصرم، لجنة تحقيق ترأسها السير ديسموند دي سيلفا، رئيس الادعاء العام الأسبق في المحكمة الخاصة لسيراليون، وضمت خبراء في القانون والطب والتصوير الطبي.

وتستند الأعمال التي أنجزها الفريق إلى صور فوتوغرافية قدمها منشق، كان من أفراد الشرطة العسكرية السورية يشار إليه هنا باسمه المستعار "قيصر". وكان هذا الشخص قد كُلف منذ بدء النزاع في سورية، بالتقاط صور لجثث المحتجزين الذين يموتون في سجون النظام السوري، وتُظهر هذه الصور آثاراً لضروب التعذيب الذي مورس عليهم وأفضى إلى وفاتهم.

وقد أكد فحص دقيق أجراه خبراء صحة الصور التي تم الحصول عليها عن طريق المسمى "قيصر". ويستخلص من هذه الصور الفظيعة أن من المحتمل أن يكون عدد السوريين الذين تعرضوا للتعذيب والإعدام في سجون النظام منذ بدء النزاع حوالي ١١ ٠٠٠ شخص.

وأرجو ممتناً تعميم هذه الرسالة ومرفقها بوصفهما وثيقة من وثائق مجلس الأمن.

(توقيع) جيريار أرو



مرفق الرسالة المؤرخة ٢ نيسان/أبريل ٢٠١٤ الموجهة إلى رئيسة مجلس الأمن
من الممثل الدائم لفرنسا لدى الأمم المتحدة

[الأصل: بالإنكليزية]

تقرير بشأن مصداقية بعض الأدلة المتعلقة بتعذيب وإعدام أشخاص من الذين
يحتجزهم النظام السوري الحالي

المحتويات

الصفحة	
٣	أولا - أعضاء فريق التحقيق.....
٤	ثانيا - موجز تنفيذي.....
٥	ثالثا - مقدمة.....
٦	رابعا - منهجية التحقيق.....
٨	خامسا - شهادة "قيصر".....
١٠	سادسا - شهادة قريب "قيصر".....
١١	سابعا - النتائج التي خلص إليها فريق التحقيق.....
١٥	ثامنا - الاستنتاجات.....
١٦	تاسعا - التذييلات.....

أولا - أعضاء فريق التحقيق

الفريق القانوني

مستشار الملكة صاحب المقام الرفيع السير ديسموند دي سيلفا (الرئيس)

رئيس الادعاء العام الأسبق في المحكمة الخاصة لسيراليون. عيّنه الأمين العام للأمم المتحدة شخصيا. وكان لا يزال يحمل هذه الصفة عندما يسر عمله اعتقال الرئيس الليبيري الأسبق تشارلز تيلور.

مستشار الملكة البروفيسور السير جيفري نايس

المدعي العام الرئيسي الأسبق في قضية الرئيس اليوغوسلافي السابق ميلوسيفيتش.

البروفيسور ديفيد م. كرين

أول رئيس لإدعاء العام في المحكمة الخاصة لسيراليون. عيّنه الأمين العام للأمم المتحدة شخصيا. وكان لا يزال يحمل هذه الصفة عندما أصدر قرار الاتهام في حق الرئيس الليبيري الأسبق تشارلز تيلور.

فريق الاستدلال العلمي الجنائي

الدكتور ستيفارت ج. هاملتن، حائز على شهادات البكالوريوس في الطب، والبكالوريوس في الجراحة، والبكالوريوس في علم الطب (مع مرتبة الشرف) من الكلية الملكية للأطباء، قسم الطب الشرعي والقانوني

أخصائي الاستدلال المرضي الجنائي مسجل لدى وزارة الداخلية في المملكة المتحدة.

البروفيسورة سوزان بلاك، حاصلة على وسام الإمبراطورية البريطانية، وحائزة على شهادتي البكالوريوس في العلوم والدكتوراه، وعضو الجمعية الملكية في أدنبرة، وعضو المعهد الأنثروبولوجي الملكي، وحاصلة على شهادة FAI (الاستدلال الأنثروبولوجي الجنائي)

أستاذة علم التشريح والاستدلال الأنثروبولوجي الجنائي.

ستيفن كول، عضو جمعية علوم الاستدلال الجنائي

المدير التقني لشركة Acume Forensics وخبير في الاستدلال التصويري الجنائي.

ثانياً - موجز تنفيذي

اجتمعت في فريق التحقيق هذا عدة خبرات واسعة في إقامة الدعاوى المتعلقة بجرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية وغيرها من الجرائم المنافية للقانون الدولي.

وقد عهد إلى فريق التحقيق بمهمة البت في مدى مصداقية منشق سوري كان، قبل انشقاكه عن النظام السوري، يعمل في الشرطة العسكرية الحكومية السورية. وبهذه الصفة، وفي إطار عمله في هذه الشرطة، ظل طوال سنين عديدة يلتقط صوراً لمسارح الجريمة. وعندما اندلعت الحرب الأهلية، تغيرت طبيعة وظيفته وأصبح، هو وزملاؤه، يلتقطون صوراً للجثث التي تنقل إلى المستشفيات العسكرية من مرافق احتجاز أصحابها ويوثقون البيانات المتعلقة بها.

وكانت هذه الجثث التي بدأ منذ اندلاع الحرب الأهلية يلتقط صوراً لها تحمل آثاراً تدل على تعرض أصحابها للتجويع، والضرب المبرح، والخنق وغير ذلك من أشكال التعذيب والتقتيل.

وقد سرب هذا المنشق الذي أطلق عليه فريق التحقيق اسم "قيصر" خلال الفترة التي كان يقوم بها بهذا العمل، ما يناهز عشرات الآلاف من صور الجثث التي التقطها هو وزملاؤه. وهناك صور أخرى مماثلة سربها أشخاص آخرون. ويبلغ الآن مجموع الصور التي أصبحت متاحة خارج سورية نتيجة لهذه العمليات ما يقارب خمسة وخمسين ألف (٥٥ ٠٠٠) صورة. ولما كانت تؤخذ لكل جثة نحو أربع أو خمس صور، فإن ذلك يعني وجود صور لنحو أحد عشر ألف (١١ ٠٠٠) من المحتجزين الذين قتلوا.

وبعد أن أخضع فريق التحقيق "قيصر" لاستجواب دقيق، وقيم شهادته في ضوء الأدلة المستندية، اطمئن إلى أنه شاهد صادق وموثوق به. فهو لم يبدُ عليه ما يشير إلى أنه يبحث عن "الإثارة" أو ما يشي بأنه متحيز. ورغم أنه يناصر معارضي النظام الحالي، إلا أن الفريق مقتنع بأنه أدلى بشهادة صادقة عن الوقائع التي خبرها. ولو كان يتوخى المبالغة في شهادته لسهّل عليه كثيراً أن يفيد بأنه عاين فعلاً عمليات إعدام. وعلى العكس من ذلك، فقد صرح تصريحاً بيناً بأنه لم يشهد قطُّ ولو عملية إعدام واحدة. وهناك أسباب كثيرة أخرى دعت فريق التحقيق إلى أن يستنتج أن شهادته موثوقة ويمكن الاطمئنان إليها كأساس لأية إجراءات قضائية لاحقة.

ثالثا - مقدمة

سافر أعضاء فريق التحقيق إلى منطقة الشرق الأوسط قادمين إليها من المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية لتنفيذ مهمة كلفتهم بها شركة Carter-Ruck and Co التي يوجد مقرها في مدينة لندن.

وكانت المعلومات المتاحة للفريق القانوني قبل وصوله تفيد بأن الأمر يتعلق بمنشق سوري يوجد في ذلك الحين في بلد ثالث، وأنه كان يعمل في الشرطة العسكرية قبل أن ينشق عن النظام. وأبلغ الفريق القانوني كذلك بأن هناك حوالي خمسة وخمسين ألف (٥٥ ٠٠٠) صورة فوتوغرافية لحوالي أحد عشر ألف (١١ ٠٠٠) محتجز تعرضوا للتعذيب والقتل على يد عملاء النظام السوري الحالي منذ اندلاع الانتفاضة ضد نظام الأسد في آذار/مارس ٢٠١١.

وكان الفريق يعلم أن الرجل قدّم آلاف الصور الفوتوغرافية لأشخاص نُفذ فيهم الإعدام بأن أخذ نسخا منها سجلها في ذاكرة ومضية (flash drive).

وكانت المهمة التي عهد بها إلى الفريق تتمثل في استجوابه والتأكد من صدقه وموثوقية شهادته من عدمهما.

وفي ١٢ و ١٣ و ١٨ كانون الثاني/يناير ٢٠١٤، تم استجواب هذا الشاهد الذي أطلق عليه اسم "قيصر" حماية له.

وقد تحدث "قيصر" في الشهادة التي أدلى بها أمام أعضاء فريق التحقيق، عن خدمته في قسم الشرطة العسكرية، فأبلغهم أن هذا القسم كان مكلفا بالتقاط صور للجرحى أو القتلى. غير أنه بعد اندلاع الانتفاضة ضد نظام الأسد، أصبح من الاعتيادي التقاط صور لجثث أشخاص من المحتجزين الذين يتعرضون للتعذيب ويقتلون أثناء احتجازهم. وثمة سببان وراء التقاط صور للأشخاص المنفذ فيهم الإعدام هما: أولا، إصدار شهادات الوفاة دون تمكين الأسر من المطالبة بمعاينة الجثث مما يميز للسلطات الانتفا على قول الحقيقة بشأن ظروف وفاتهم؛ وثانيا، إقامة الدليل على أن أوامر الإعدام قد نفذت. ولم يذكر "قيصر" في أي وقت من الأوقات طوال مدة استجوابه أنه حضر أي عملية تعذيب أو إعدام.

رابعا - منهجية التحقيق المنهجية القانونية

نظرا لتزاحم المصالح الوطنية وغيرها من المصالح التي تتجاذب النزاع السوري، شرع فريق التحقيق في تنفيذ مهمته المتمثلة في تقييم شهادة المنشق الذي أُطلق عليه اسم "قيصر" وتقييم الصور الفوتوغرافية مع تحري الحذر والحرص على ألا يُستخدم فريق التحقيق نفسه مطية تمرر أطراف أخرى من خلالها وجهة نظر محددة.

ثم إنه لما كان التحقيق يتناول أدلة محتملة تكشف، إن صحت، أن الأمر يتعلق بارتكاب جرائم هي من أخطر الجرائم المنافية للقانون الدولي، أخضع أعضاء الفريق أقوال الشاهد وجميع الأدلة المعاينة للفحص الدقيق. ونظرا لطبيعة الادعاءات، أجرى الفريق عمله على أساس عدم استخلاص أي استنتاج سلمي إلا متى ثبت لديه على نحو لا يدع مجالاً للأدنى شك أن ثمة ما يثبت التورط في أعمال إجرامية.

وقد تلقى الفريق في هذا الصدد مساعدة قيّمة إلى أقصى حد من ثلاثة خبراء متمرسين في الاستدلال العلمي الجنائي، وهو يثني كثيرا على حسهم المهني .

منهجية الاستدلال العلمي الجنائي

قام الدكتور ستيفارت هاملثن والبروفيسورة سوزان بلاك بفحص الصور الرقمية التي أخذت للبحث. وقد فحص الخبران الصور دون سابق علم بشهادة "قيصر" أو اطلاع على أي بيانات خطية بشأن فحواها. وقيمت صور البحث للتحقق من أي إصابات أو سمات أخرى. وتأكدت صحة الإفادة المتعلقة بكون الصور قد التُقطت خلال فترة النزاع المسلح في سورية، ومن ثمة، فقد كان الخبران حريصين على تبيين ما إذا كانت الجروح الظاهرة قد ترتبت على عمل عسكري مشروع.

وحُملت خمس وثلاثون صورة مباشرة في خادوم مأمون في شركة Acume Forensics في المملكة المتحدة حتى يتمكن ستيفن كول، وهو خبير في التصوير الرقمي، من تقييمها، وبذلك تأكد لفريق التحقيق أن الصور لم تعدل رقميا.

ومن أصل الصور الخمسة وخمسين ألفا (٥٥ ٠٠٠)، كانت ستة وعشرون ألفا وتسعمائة وثمانية وأربعون (٢٦ ٩٤٨) صورة موجودة في العديد من ملفات الحاسوب الذي فحصت فيه الصور. وقد اطمئن فريق التحقيق إلى أن هذه الصور جميعها (٢٦ ٩٤٨) هي

صور قدمها "قيصر"، كما هو الشأن بالنسبة للبعض من الصور المتبقية وعددها يفوق عشرين ألفاً^(١).

وهناك نسبة مئوية كبيرة من الصور لجثث أشخاص أصيبوا بالهزال بمعناه المعروف أدناه:

الهزال: يُشترط في تصنيف أحدهم كشخص يعاني من الهزال (المعروف طبياً باسم "الدَّنف") أن يكون ثمة أدلة ظاهرة على انخفاض وزن جسمه انخفاضاً حاداً مع وجود خصائص من قبيل بطن زورقي الشكل (محوّف مع بروز عظام الورك)، وبروز الضلوع، وضمور عضلات الأطراف، وفي بعض الحالات، وجود وجه بُقراطي (سحنة وجه محوّف ومقعر). وال "نخافة" البادية على شخص لا تكفي لتصنيفه في هذه الفئة.

وقد استُخدمت للدلالة على فئات محددة من الصور المصطلحات التالية:

الأدلة القاطعة على الإصابة برضوح: بالنسبة للصور المصنفة في هذه الفئة، كانت هناك أدلة على وجود إصابة جسدية من النوع الذي قد ينتج عن الضرب أو التكبيل أو التقييد أو ما مائل ذلك من ضروب الإيذاء الجسدي، ويُستثنى منها الجروح التي يحتمل منطقياً أن تكون قد نشأت عن اشتباك قتالي مشروع. وقد احتفظ بهذه الفئة للدلالة على الإصابات التي اعتبر الخبراء أنه يمكن عرضها أمام المحاكم على هذا النحو وأما ذات قيمة إثباتية كبيرة.

وكان هناك العديد من الجثث الملتخعة بالدماء. وبمجرد وجود هذه البقع من الدماء دون أثر لإصابة ظاهرة للعين على الصورة لم يكن وحده يُعتبر دليلاً على وجود جرح بل كان لا بد من إثبات أن هناك جرحاً هو مصدر ذلك التزييف.

الأدلة غير القاطعة على الإصابة برضوح: تصنف في هذه الفئة الصور التي تكون فيها الجروح إما مطموسة جزئياً أو الصور التي تلتقط على نحو لا تظهر فيه الجروح بقدر كاف من الوضوح يتيح التيقن علمياً بما يكاد لا يدع مجالاً للشك من أنها نتجت عن هذا أو ذاك السبب بالتحديد. لذا، فهي صور لجثث لا يوجد "دليل مقنع"، على أن أصحابها أصيبوا برضوح ينطبق عليها التعريف المبين أعلاه، وإنما هي صور يحتمل أن تكون لجثث أشخاص أصيبوا برضوح تصنف في هذه الفئة.

(١) مكنت الحركة الوطنية السورية التي توجد الآن بجوزتها الصور المذكورة في هذه الفقرة الفريق من الاطلاع عليها.

عدم وجود رضوح ظاهرة: لا يوجد في الصور المصنفة في هذه الفئة ما يكفي من الأدلة لتصنيفها في أي من الفئتين المذكورتين أعلاه. وهذا لا يعني أن الجثث المصورة فيها لا تحمل رضوحا لحقت بأصحابها بشكل غير مشروع، غير أن الأمر يعزى هنا ببساطة إلى عدم توافر أدلة إثبات.

وقد ارتأى الخبراء حصر الفحص في ما يشكل دليلا ماديا. فهم لا يستطيعون أن يتبينوا من فحص المظهر الخارجي لجثث الأشخاص ما إذا كان هؤلاء قد تعرضوا للتعذيب فعلا أم لا، لأن إثبات وقوع التعذيب يُشترط فيه إثبات أن الذين ألحقوا بهم تلك الجروح قد فعلوا ذلك وهم في حالة ذهنية معينة.

محدودية التحليل الاستدلالي العلمي للصور

واجه خبراء الاستدلال العلمي الجنائي بعض القيود عند تقييم هذه الصور:

فالصور لم تلتقط على النحو الذي يلتقط به محققو مسارح الجريمة الصور التي تستخدم كأدلة في قضايا القتل، وإنما هي صور الغرض منها تسجيل وفاة الأشخاص الذين أخذت لهم بعد أن فارقوا الحياة. ولذلك فهي لا تحمل مقياسا ولم تلتقط من مسافة قريبة بقدر يتيح تبيين الجروح. ثم إن معظمها صور لجثث مسجاة على قفاها بحيث لا يبدو منها الظهر. لذا، ليس بالإمكان تحليل الجروح التي ربما تكون موجودة على الظهر.

والصور لا تشمل سوى الجانب الظاهر من الجثة، ومن ثم فإنه لا يمكن تحديد ما إذا كانت هناك أي إصابات أو أمراض باطنية.

ونظرا إلى ضيق وقت فريق التحقيق وكثرة هذه الصور، تعذر إعداد تقرير مفصل لتحديد طبيعة الجروح الظاهرة في كل صورة. لذا، اعتمد التصنيف المبين أعلاه.

خامسا - شهادة "قيصر"

أطلق فريق التحقيق على هذا الشاهد الذي هرب من سوريا، والذي كان يعمل لحساب الحكومة السورية، اسم "قيصر" حماية له ولأفراد أسرته.

وعرض الفريق على الشاهد بطاقتي هوية سورييتين تخصانه وتحملان اسمه وصورته ومهنته وطلب منه التأكد مما إن كان هو فعلا صاحبهما.

وذكر "قيصر" للفريق أنه كان يعمل في الشرطة العسكرية لنحو ١٣ عاماً قبل انشقاقه، وأن عمله كان يتمثل في البداية في التقاط صور تتصل بالأمر الجنائي العادية وإرسالها إلى "جهاز القضاء"^(٢). أي أنه، باختصار، كان محققاً مختصاً بمسارح الجريمة.

ومنذ اندلاع الحرب الأهلية ضد النظام الحالي، تغيرت طبيعة وظيفته من التقاط صور مسارح الجريمة والحوادث إلى "التقاط صور للمحتجزين المقتولين". وأبلغ فريق التحقيق بأن مهامه ومهام زملائه في قسمه كانت تقتصر خلال السنوات الثلاث الأخيرة على توثيق البيانات المتعلقة بمحاث المحتجزين والمقتولين والتقاط صور لها. وذكر للفريق أيضاً أن عمله كان صعباً وأنه كان يسبب له ولزملائه "معاناة نفسية".

وعندما يُقتل محتجز في مكان احتجازه، فإن الإجراء المتبع يمر عبر نقل جثته إلى مستشفى عسكري يُرسل هو إليه برفقة طبيب ومسؤول من جهاز القضاء، حيث تتلخص مهمته في التقاط صور للجثة. وعلم الفريق منه أنه كان يلتقط يومياً صوراً للجثث يمكن أن يصل عددها إلى ٥٠ جثة، وأن تصوير كل جثة يستغرق مدة تتراوح من ١٥ إلى ٣٠ دقيقة عمل^(٣).

وكان الغرض من توثيق البيانات المتعلقة بالجثث التأكد من أن قوات الأمن لم تفرج عن أي من أصحابها وإبلاغ أسر هؤلاء المحتجزين الذين قتلوا، عندما يحين الوقت، بأن سبب الوفاة في كل حالة كان إما "سكتة قلبية" أو "مشاكل في الجهاز التنفسي"، وأيضاً طمأنة السلطات بأن جميع عمليات الإعدام قد نُفذت.

ويُسجل كل محتجز يُقتل تحت رقمين، وجهاز الأمن هو الجهة الوحيدة التي تعرف هوية أصحاب الجثث.

والإجراء المتبع في توثيق البيانات المتعلقة بمحاث المحتجزين الذين يُقتلون يتمثل في تسجيل كل جثة تحت رقم مرجعي يشير إلى فرع جهاز الأمن المسؤول عن احتجاز صاحبها ووفاته. وعندما تؤخذ الجثة إلى المستشفى العسكري، تُعطى رقماً آخر بحيث تُسجل زوراً باعتبار أن صاحبها توفي في المستشفى. وحالما يتم تصويرها، تؤخذ لتُدفن في منطقة ريفية.

(٢) المقتطفات المأخوذة من شهادة "قيصر" ترد بالخط المائل.

(٣) ذكر "قيصر" أن عدد الصور الفوتوغرافية التي يلتقطها لكل جثة انخفض بمرور الوقت بسبب ازدياد عددها ونقص الموارد. وهو ما أكدته فريق الاستدلال الجنائي حيث سجل وجود ما بين أربع وخمس صور لكل جثة في المتوسط.

وبسبب قلق "قيصر" الشديد مما كان يجري، قام بإرسال نسخ من هذه الصور باستخدام ذاكرة ومضية (Flash Drive) إلى قريب له يثق به. وكان من بينها صور لأشخاص يبدو أنهم جُوعوا حتى الموت، وكانت تبدو على بعضهم علامات تدل على تعرضهم للتعذيب قبل موتهم. والأكيد هو أن آثار الضرب والحرق كانت باادية حتى على بعض الجثث التي كان أصحابها يعانون من الهزال. وكانت هناك بعض حالات لجثث انتزعت منها العينان.

وُترسل الصور الفوتوغرافية الأصلية التي يلتقطها "قيصر" أو أحد العاملين في وحدته إلى "جهاز القضاء العسكري" مصحوبة بتقرير رسمي.

وعندما كان "قيصر" يخطط للانشقاق، جعل أحد زملائه يلتقط صوراً جماعية للجثث في منظر يجعل المكان يبدو أقرب منه إلى "مسلخ". وعندما استفسر منه زميله عن السبب، ادعى أنه يطلب منه ذلك على سبيل التحوط حتى إذا ما فاتهم أخذ صورة لجثة من الجثث، وجدوها في الصورة الجماعية.

وذكر "قيصر" للفريق أنه فعل كل هذا "من أجل سورية والشعب السوري حتى يتسنى مقاضاة القتلة وتحقيق العدالة".

وأبلغ الفريق بأنه هرب من سورية خوفاً على حياته وحياة أفراد أسرته، ووصف أيضاً للفريق الطريق الذي سلكه للهروب.

سادسا - شهادة قريب "قيصر" (٤)

استمع فريق التحقيق أيضاً إلى شهادة قريب "قيصر". وقد زوّد الشاهد الفريق باسمه كتابةً. بيد أن الفريق لا يمكنه إفشاء اسمه لأسباب تتعلق بأمنه.

وأكد الشاهد أنه أحد أصهار "قيصر" وأنه ترك سورية قبل خمسة أيام من اندلاع الحرب الأهلية ضد النظام السوري الحالي وأنه أقام اتصالات بجماعات دولية تُعنى بحقوق الإنسان.

وأبلغه أيضاً بأنه تم في أعقاب ذلك تشكيل لجنة لجمع المعلومات في الشرق الأوسط بهدف جمع المعلومات وتوثيق ما يجري داخل سورية.

(٤) أحد أعضاء الحركة الوطنية السورية.

وعلم الفريق من الشاهد أن "قيصر" بدأ يتعاون مع هذه اللجنة منذ مرحلة مبكرة، وأن الشاهد أخذ له موعداً مع "قيصر" في وقت ما لعله في أيلول/سبتمبر ٢٠١١ لمفاتيحه بهذا الأمر. فقد جاء في أقوال هذا الشاهد أنه إزاء تشكيك النظام السوري في صحة المعلومات التي قدمتها اللجنة "بدأنا في البحث عن مصدر معلومات من داخل النظام. غير أنه تعذر علينا الحصول على أدلة تتعلق بالمتحيزين والمفقودين. فاضطررنا إلى البحث عن أشخاص يعملون مع النظام ويكونون متعاطفين مع قضيتنا"^(٥).

وعلم الفريق من الشاهد أن "قيصر"، بدأ يساوره القلق بشأن سلامته بعد قيامه بإرسال عشرات الآلاف من الصور، فبدأ قريبه يخطط مع سائر أعضاء اللجنة الآخرين لتأمين عملية انشقاغه عن النظام. ووصف الشاهد الطريقة التي تم بها تهريبه من سورية والتحاق عائلته به. وذكر أن إعداد العملية استغرق أربعة أشهر.

سابعاً - النتائج التي خلص إليها فريق التحقيق

خلص فريق التحقيق إلى أن الشاهد الذي أطلق عليه اسم "قيصر" أهل للثقة وأن شهادته مقنعة جداً.

فرواياته التي جاء فيها أن النظام السوري كان بحاجة إلى الحصول على صور فوتوغرافية للأشخاص الذين قتلوا تتسق مع كون النظام بحاجة بالفعل إلى التأكد من تنفيذ أوامره بقتل من يريد قتله من الأشخاص الذين يحتجزهم. ويرى الفريق أن الحاجة إلى التقاط صور لجثثهم مؤثر قوي على أن قتلهم كان يتم بشكل منهجي ومنظم، وبناء على تعليمات تصدر عن مسؤولين كبار.

والأمر الذي يقبله أيضاً فريق التحقيق من ناحيته كدليل على أن هذا القتل كان يتم على نحو منهجي هو أن "قيصر" يقول في شهادته إنه كثيراً ما كان يتعين عليه أو على زملائه التقاط صور لما يناهز ٥٠ جثة يومياً. ثم إن الأرقام المسندة إلى الجثث لتحديد هوية أصحابها والتي تبدو في الصور وهي مثبتة على كل جثة هي دليل آخر على أن الأمر يتعلق بضرب من التقتيل المنظم.

ويتضح تماماً من شهادة "قيصر" أن الهزال البادي على جثث المحتجزين أمر اعتاد على مصادفته عندما كان يلتقط تلك الصور. وفعلاً، فإنه يجوز القول في هذه الحال إن هذا

(٥) المقتطفات المأخوذة من شهادة قريب "قيصر" ترد بالخط المائل.

الهزال ربما يروي فصولا طويلة من تعرض أصحابه للتجويع كوسيلة من وسائل التعذيب الذي مورس عليهم.

ويبدو أن المسؤولين عن المحتجزين قد مارسوا عليهم العديد من ضروب التعذيب. فعلامات الخنق البادية جليا على مستوى الرقبة في عدد من الجثث لا يمكن أن تخطئها العين. وتحمل الجثث أيضا آثارا جلية تؤكد تعرض أصحابها إلى الضرب قبل موتهم.

وظهور عدد كبير من الشباب في هذه الصور الفوتوغرافية دون أن تبدو عليهم جروح ظاهرة يوحي بأن وفاتهم لم تكن طبيعية. فعلى سبيل المثال، هناك بعض جثث تحمل جروحا واضحة تشير إلى تعرض أصحابها للصعق بالكهرباء. وحتى إذا ما سلّم جدلا بأن هذا الاستنتاج يستند إلى عملية تخمين، فإن فحص هذه الفئة من الصور في ضوء جميع الحقائق الأخرى، بما فيها حقيقة وجود أصحاب هذه الجثث مع جثث أشخاص آخرين يبدو واضحا أنهم ماتوا قتلا، يستنتج منه أنهم، هم أيضا، قُتلوا على يد محتجزهم.

نتائج الاستدلال العلمي الجنائي

فحص فريق الاستدلال الجنائي ما مجموعه خمسة آلاف وخمسمائة (٥ ٥٠٠) صورة تقريبا. ويبدو أن معظم المتوفين تلتقط لكل منهم صور يتراوح عددها بين أربع صور وخمس صور، وبذلك فإن عدد صور الجثث التي فحصها فريق الاستدلال الجنائي يقدر بنحو ألف وثلاثمائة (١ ٣٠٠) صورة.

ففي البداية، جرى فحص ألفي (٢ ٠٠٠) صورة فحصا عاما، لمعرفة طبيعة الإصابات وحجمها، ثم خضعت ثلاثة آلاف وخمسمائة (٣ ٥٠٠) صورة لفحص أكثر دقة.

وكان معظم الصور لرجال شباب تتراوح أعمارهم، على الأرجح، بين عشرين عاما وأربعين عاما، ومنهم قلة يرجح أن تفوق أعمارهم ستين عاما. ولم يكن من بينهم أطفال. ولم تظهر في الصور التي فحصها الفريق جثث لنساء إلا في صورة واحدة لامرأة بملابسها ولا تبدو عليها جروح ظاهرة. غير أن معظم الجثث كانت لأشخاص عراة أو شبه عراة.

ومن بين الصور البالغ عددها خمسة آلاف وخمسمائة (٥ ٥٠٠) صورة، قُيِّمت بالتفصيل صور لما مجموعه ثمانمائة وخمسة وثلاثين (٨٣٥) جثة. وقد تبين في ما نسبته ٢٠ في المائة منها وجود أدلة قاطعة على إصابة أصحابها برضوح، وفي ما نسبته ٣٠ في المائة منها وجود أدلة غير قاطعة على الإصابة برضوح. وتبين في ما نسبته ٤٢ في المائة منها أنها جثث لأشخاص أصيبوا بالهزال.

- آثار الوُثُقِ على العنق عَرَضِيَّة. وهذا ما لا يتفق مع عملية شنق طبيعية حيث يرتفع فيها أثر الوُثاق إلى ما فوق العنق، الأمر الذي يشكل في رأي الفريق الجنائي عملية خنق باستخدام الوُثُقِ. ويتفق أيضا هذا النوع من الخنق باستخدام الوُثُقِ مع الخنق المستخدم كوسيلة للتعذيب. وهناك صور لأشخاص متوفين تظهر على معاصمهم وكواحلهم آثار وُثُقِ. وفي حالة واحدة شوهد كابل بلاستيكي معقود حول الكاحلين جرى استخدامه كوثاق.
 - معظم الرضوض المتوازية موجود على الجذع، وإن وجد بعضها على الأطراف. وهذا ما يتفق بدرجة كبيرة مع الآثار الناجمة عن الضرب المتكرر باستخدام أداة لعلها قضيب.
 - هناك جروح أخرى تتمثل في رضوض وسحجات لم يحدّد سببها ويعزى ذلك أساسا إلى عدم التمكن من التعرف على الأداة أو الآلة التي سببتها على وجه التحديد.
 - الأشخاص الذين التقطت صور لجثثهم كانوا على درجة شديدة من الهزال، ويظهر في الكثير من صورهم دلائل على تبدّل اللون والتقرّح ولا سيما في منطقة القدم والساق. والأسباب المرّضية الدقيقة غير واضحة وقد تعود لأكثر من سبب واحد. وتشمل التفسيرات المحتملة تأثيرات الضغط (تقرحات الضغط)، وقصور الأوعية الدموية، والأذى الملحق باستخدام أدوات حارة أو باردة مثلاً وانهايار الأنسجة نتيجة سوء الحالة التغذوية.
 - تجدر الإشارة إلى أنه نظرا لأن معظم هذه الآفات التقرحية أصابت شبابا، فمن المستبعد جدا ردها كلها إلى أسباب طبيعية.
- وعلى العموم، هناك دلائل على إصابة عدد كبير من الأفراد بالهزال قبل وفاتهم وعلى أن أقلية كبيرة منهم كانت موثقة الأطراف و/أو تعرضت للضرب بأدوات لعلها قضبان.
- ومن بين الصور التي تم فحصها، لم تكن هناك سوى حالات قليلة تبين فيها وجود جروح يمكن الجزم بأنها هي التي نتجت عنها الوفاة، إلا أن الصور لا يتضح منها وجود أي جروح في ظهر الجثة قد تكون هي الجروح التي نتجت عنها الوفاة. ويؤكد الفريق هنا أن بالإمكان قتل شخص بأساليب عديدة تكون آثار الأداة التي استخدمت في قتله بادية بالكاد أو قد لا تكون ظاهرة أصلا.

وبعد القيام في مرحلة أولى باستعراض صور هذه الجثث البالغ عددها ثمانمائة وخمسة وثلاثين (٨٣٥) جثة وتحليل الصور بشكل روعيت فيه بقدر أكبر الإجراءات المتبعة رسمياً، أُدرجت ضمن "عينة عشوائية" من مئة وخمسين (١٥٠) صورة كل صورة لشخص واحد فقط أخذت من ملفين اختيرا جزافاً، وذلك بغرض فحصها بمزيد من التفصيل. وأدرجت كذلك في العينة الصور الواضحة جداً للجثث لا تحجب فيها الملابس جانباً كبيراً من الجسم. وقد سُجّلت المعلومات استناداً إلى المناطق التشريحية من الجثث وهي الرأس والعنق والجذع والعضد والساعد والفتخز والساق/القدم. وسُجّلت حسب كل منطقة في الجسم فئات الرضوض، بما في ذلك الندبات والتقرحات والرضوض المتوازية، والجروح التي لم تحدد أسبابها، وآثار الوُثُق. وسُجّلت أيضاً الحالات التي كانت لا تزال فيها الضمادات المؤقتة أو آثار الوُثُق ظاهرة على الجثة. ودوّن، في فئة منفصلة، ما إذا كان صاحب الجثة مصاباً بالهزال. ويتضمن الجدول ١ الوارد في الملحق نتائج هذا الفحص.

نتائج العينة العشوائية:

- لا توجد على مستوى الوجه سوى إصابات غير محددة السبب^(٦). وقد شوهدت هذه الحالات في ٢٤ في المائة من العينة (٣٦ شخصا).
- تُظهر صور لأعناق ١٩ في المائة من هؤلاء الأشخاص وجود جروح غير محددة السبب وتظهر صور لأعناق ١٦ في المائة منهم دلائل على وجود آثار وُثُق. ويرى فريق الاستدلال الجنائي أن هذه الآثار قد تكون متوافقة مع الخنق بالوُثُق سواء أدى ذلك إلى الوفاة أم لا. وحسبما يتضح، فإن هذه الآثار لا تتوافق مع الآثار الناشئة عن الإعدام شنقاً، وهناك في حالة واحدة أثر مميز لاستخدام وثاق (الشكل ٥).
- تُظهر صور الجذع وجود ندبات في ١ في المائة من الحالات، وتقرحات في ١ في المائة من الحالات ورضوض متوازية في ٥ في المائة من الحالات.
- معظم الجروح الظاهرة في صور الذراع والزند جروح غير محددة السبب (١٠ في المائة و ٧ في المائة على التوالي) حيث تظهر في ١ في المائة من الحالات رضوض متوازية على الذراع وتُظهر ١١ في المائة من الحالات دلائل على وجود آثار قيود على المعصم.

(٦) لأغراض السرية والأمن، حجبت معالم الوجه أو سواها من الملامح التي قد تؤدي إلى التعرف على أصحاب الصور المعروضة في الملحق ألف من هذه الوثيقة (وهي الصور التي شاهدها فريق التحقيق بأكملها).

- تُظهر في صور الفخذ بعض حالات التقرح (١٠ في المائة) إضافة إلى الندبات (٥ في المائة) والرضوض المتوازية (١ في المائة).
- تُظهر غالبية الصور التي جرى فحصها وجود تقرحات في الساق/القدم (٥٥ في المائة)^(٧) حيث تظهر ندبات في ٩ في المائة من الحالات، وجروح غير محددة الأسباب في ٦ في المائة من الحالات.
- توجد وُثُق ظاهرة على الساق في ٣ في المائة من الصور، وهناك فيما يبدو آثار ظاهرة لقيود في ٩ في المائة من الحالات ومنها آثار هي في معظمها لوثق مؤقتة.
- لا تبدو علامات الهزال إلا في ٥ في المائة من أجساد الضحايا.
- ٦٢ في المائة من الصور هي لبحث أصيب أصحابها بالهزال.

ثامنا - الاستنتاجات

- اطمأن فريق التحقيق إلى أنه بعد قيامه بفحص هذه المواد، أصبحت هناك أدلة واضحة يمكن أن تقنع الهيئة التي تقيّم الوقائع في المحكمة، على وقوع عمليات تعذيب وقتل ممنهجة للمعتقلين على يد عملاء الحكومة السورية.
- من شأن هذه الأدلة أن تؤيد الاستنتاجات بأن النظام السوري الحالي ارتكب جرائم ضد الإنسانية.
- من شأن هذه الأدلة أن تؤيد الاستنتاجات بأن النظام السوري الحالي ارتكب جرائم حرب.

مستشار الملكة صاحب المقام الرفيع السير ديسموند دي سيلفا، مستشار الملكة (الرئيس)

البروفسور دافيد م. كرين

البروفسور السير جيفري نايس، مستشار الملكة

(٧) انظر الجدول ٢ الوارد في التذييل باء.

تاسعا - التذييلات

ألف - عينات مختارة من الصور.

باء - جداول نتائج العينة العشوائية

جيم - مسرد بمصطلحات الاستدلال الجنائي

التذييل ألف

عينات مختارة من الصور^(٨)

الشكل ١

جثة لشخص أصيب بالهزال



(٨) يحتفظ التيار الوطني السوري حاليا بالصور التي شاهدها فريق التحقيق.

الشكل ٢
جثتان لشخصين أصيبا بالهزال



لاحظ أيضا درجة التقرح وتبدل اللون في منطقتي الساق والكاحل.

الشكل ٣
أثر وثاق عَرَضِي لف حول الرقبة



الشكل ٤



آثار منمطة لوثاق لف
حول العنق

الشكل ٥



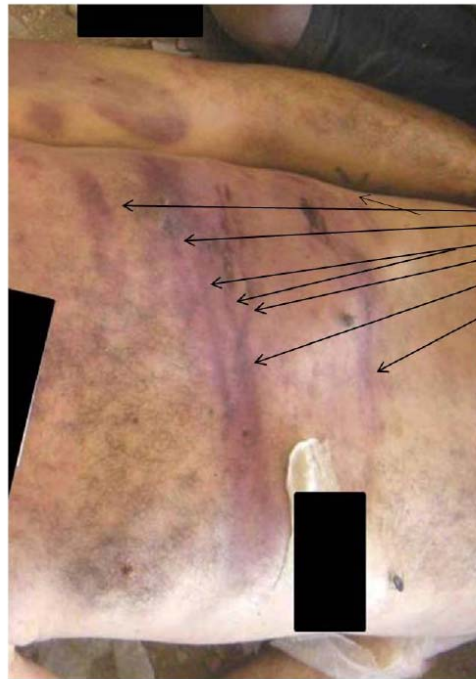
أداة محززة لعلها حزام لف
على الرقبة تتوافق آثارها
بدرجة كبيرة مع آثار الوُثُق
البادية على الجثة المصورة
لشخص آخر في الشكل ٤

الشكل ٦



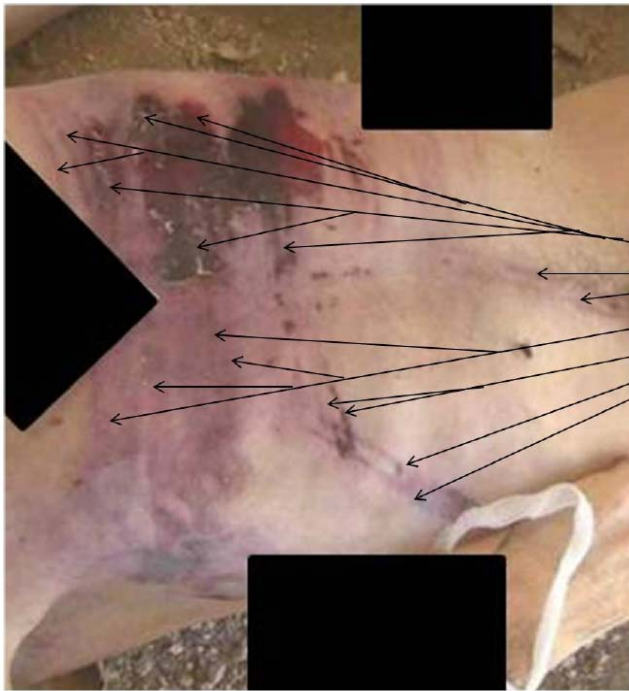
جثة لشخص أصيب بالهزال
تحمل رضوضا متوازية على
امتداد أسفل جدار الصدر

الشكل ٧



رضوض متوازية على
امتداد الصدر والبطن

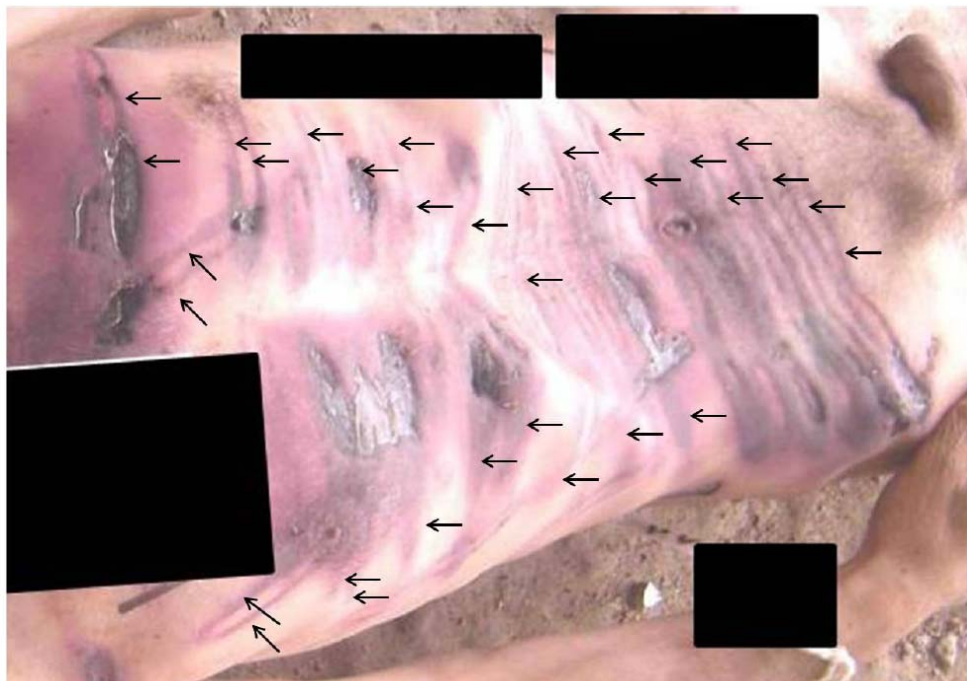
الشكل ٨



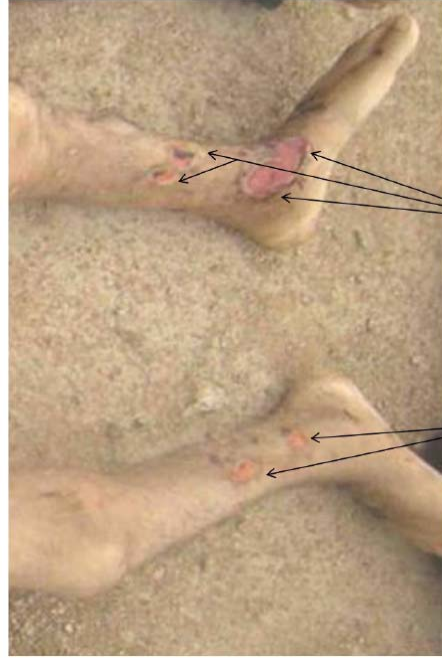
رضوض متوازية على
امتداد الصدر والبطن

الشكل ٩

رضوض متوازية (مشار إليها بأشهم) على امتداد الصدر والبطن



الشكل ١٠



تقرحات في أسفل منطقتي
الساق والقدم

التذييل باء

جداول نتائج العينة العشوائية

الجدول ١

موجز بأنواع الإصابات المسجلة من عينة عشوائية لـ ١٥٠ شخصا

منطقة الجسم	نوع الإصابة	عدد الأشخاص	النسبة المئوية للأشخاص
الوجه	غير محدد	٣٦	٢٤
العنق	غير محدد	٢٨	١٩
	وُثُق	٢٤	١٦
الجزء	غير محدد	٢٧	١٨
	كدمات متوازية	٧	٥
	ندبات	٢	١
	تقرحات	١	١
الساعد	غير محدد	١٥	١٠
	رضوض متوازية	٢	١
	تقرحات	١	١

منطقة الجسم	نوع الإصابة	عدد الأشخاص	النسبة المئوية للأشخاص
الزند	غير محدد	١١	٧
	وثق	١١	٧
الفتخذ	تقرحات	٤	٣
	تقرحات	١٥	١٠
	غير محدد	٨	٥
	ندبات	٨	٥
	رضوض متوازية	٢	١
الساق	تقرحات	٨٢	٥٥
	ندبات	١٤	٩
	قيود	١٤	٩
	غير محدد	٩	٦
	وثق	٥	٣
صفر			
حروح		٨	٥
هزال		٩٣	٦٢

الجدول ٢

المعدل العام لحدوث إصابة في منطقة معينة

المعدل العام لحدوث النوع المحدد من الإصابات	
الوجه	٣٦
العنق	٥٢
الجذع	٣٧
الساعد	١٨
الزند	٢٦
الفتخذ	٣٣
الساق	١١٠

الدكتور ستيوارت ج. هاملتن، حائز على شهادات البكالوريوس في الطب،
والبكالوريوس في الجراحة، والبكالوريوس في علم الطب (مع مرتبة الشرف) من الكلية
الملكية للأطباء، قسم الطب الشرعي والقانوني

البروفسورة سوزان بلاك، حاصلة على وسام الإمبراطورية البريطانية، وحائزة على شهادتي البكالوريوس في العلوم والدكتوراه، وعضو الجمعية الملكية في أدنبرة، وعضو المعهد الأنثروبولوجي الملكي، وحاصلة على شهادة FAI (الاستدلال الأنثروبولوجي الجنائي)، أستاذة علم التشريح والاستدلال الأنثروبولوجي الجنائي.

التذييل جيم

مسرد بمصطلحات الاستدلال العلمي الجنائي

يستخدم الأطباء الشرعيون وعلماء الأنثروبولوجيا الكثير من مصطلحات الاستدلال الجنائي كلٌّ بطريقته. والتماساً للوضوح يرد فيما يلي تعريف هذه المصطلحات.

الرضوح: تظهر الرضوح نتيجة لتسرب الدم من الأوعية الدموية التالفة. وعادة ما تشاهد مصحوبة بآثار (سواء أثار الجسم على الأداة أو أثار الضرب بالأداة على الجسم) أو تعريض المنطقة للضغط كالقبض عليها بشدة. والكثير من هذه الرضوح غير محدد نسبياً من حيث الحجم والشكل رغم أنه يمكن لبعضها أن يتخذ شكل الأداة التي أحدثتها. ومن الأمثلة على ذلك آثار القيود والأحذية.

الرضوض المتوازية: هي نوع محدد من الرضوض يسببها الضرب بأدوات تشبه القضيب. وتمتد هذه الآثار وتصيب الأوعية الدموية التي تلامس حواف الأداة وتؤدي إلى ظهور رضوض على شكل خطوط متوازية.

السحجات: السحجات ("الخدش" أو "الكشط") تظهر عادة نتيجة لتطبيق قوى قص على الجلد تؤدي إلى إزالة الطبقات الخارجية من سطحه.

التهتك: يحدث التهتك نتيجة لصدمة قوية تؤدي إلى سحق الجلد وتقطُّعه. وفي المصطلحات التقنية، يسمى ما ينجم عن التعرض إلى الأدوات الحادة جروحاً قطعياً، لا تهتكات.

الجرح بعيار ناري: هناك أشكال معينة من التهتك تنجم عن مرور طلقة نارية عبر الجسم. ويؤدي دخول المقذوف إلى الجسم إلى إحداث جرح الدخول. وإذا خرج المقذوف من الجسم أيضاً فيؤدي ذلك إلى إحداث جرح الخروج.

ركود الدوران: يعرف أيضاً باسم الزُرقة الرُمِّيَّة أو livor mortis. بعد حدوث الوفاة يتجمّع الدم بتأثير الجاذبية في أعضاء الجسم الواقعة دون مستوى القلب، ما يؤدي إلى تبدل لون الجثة إلى الأرجواني - الوردي. وإذا ما زُحزحت الجثة بُعيد حدوث هذه العملية فإن

لون الدم سوف يتغير مع وضعيتها الجديدة، ولكن بعد فترة من الزمن تتحول الزرققة الرممية إلى بقع دائمة على الجلد (يصبح اسمها حينئذ زرققة رممية "ثابتة").

التفسيخ: عملية تحلل الجثة بعد الوفاة. وتتخذ هذه العملية شكلين أساسيين هما التعفن والتحنط.

التقرح: فقدان السطح الخارجي للجلد. وهناك كثير من الأسباب الكامنة وراء حدوث التقرح.